



رسائل من داخل السجون العيد ما بين الفرحة والحزن

ياسر صالح

أسير محرر من غزة، سبق أن أمضى 17 سنة في سجون الاحتلال

يستقبل الأسرى العيد كما الأهالي بكل فرح، ويحاولون أن يصنعوا حلويات للعيد من لا شيء، ويلبسون أفضل ما لديهم من ملابس..

يوم العيد يخرج الأسرى للصلاة، فيصلون ويستمعون لخطبة العيد، ثم يقفون بشكل دائرة في ساحة الفورة ويسلمون على بعضهم مهنيين بعضهم بالعيد، ويدعون الله ألا يمر عليهم عيد جديد وهم في السجن..

يعودون للغرف، وفي موعد الفورات، تكون لجنة الأسرى قد نسقت لزيارات الغرف حتى يقوم الأسرى بمعايدة بعضهم البعض، وفعلاً يتم ذلك، وهذا هو الجزء المفرح في العيد، أن يكون هناك جو جماعي تسوده المحبة والود بين الجميع..

أما جو الحزن وبشكل عام، هو داخل كل أسير، حينما يتذكر الأهل والأحبة ويتمنى من الله لو كان معهم في العيد.. مع الأب والأم والأخوة والزوجة والأولاد وحتى الأقارب والجيران، أجواء عاشها في كل عيد، وباعتقال الاحتلال له حُرم من هذه الأجواء.. حُرم من هذه الفرحة..

يحاول الأسير، ومن خلال ألبوم الصور، أن يعيد شريط الذاكرة.. الأب.. الأم..
الأخوة.. الزوجة.. الأولاد..

وهذا هو الوجه الآخر للعيد، الحزن، والذي يحاول الأسرى أن يخفوه وخاصة عن
السجان ويظهروا بمظهر الأقوياء..

ما بين فرح وحزن تمضي أيام الأسرى، داعين الله عز وجل، أن يكتب لهم الفرج
ليجتمعوا بأحبهم..

الحرية للأسرى الحرية.

أنا أكتب إذا أنا حر..

هكذا تغدو الكتابة بالنسبة (لهم) ممارسة واعية لحرية مبتكرة، فهي سلاحهم ضد
النسيان والطغيان، هي طريقتهم المثل في ترويض شراسة الفراغ الشاسع؛ هي مرآتهم
الأمينة قابلتهم ووليدتهم في الآن ذاته، هي ملاذهم في زمن البرد والقيظ الطويل، هي
وعى لضرورة ملحة كشرط للإبداع المسيج بجثث الوقت المترامي بلزوجته وثقله؛
وهي حرية مؤقتة في زمن الأسر الدائم، هي (هم) حين يكتبون أولى كلماتهم، وحين
يعزفون عن كتابتها لإرجاء رعشة خوفٍ طفليٍّ من البوح أو الانكشاف، ذلك قبل
أن تستحيل الكتابة رغبةً في ابتكار حياةٍ موازية ونظيرة لتلك التي سلخوا عنها، حياةٍ
ينسجون خيوطها على مهلٍ ليوكبوا عبرها عالماً غادروه مُرغمين، بيد أنهم يرفضون
الانفصال عنه... وأكثر، يصارعون للحضور فيه ومحايثته، وإن لم يكونوا متواجدين
فيه.

لا تبني الكتابة داخل الأسر، وتغدو بمثابة تفرغٍ واعٍ لما يُخلفه العجز من احتقان
وحنقٍ وقهر، كاختبارٍ صعب للذات الحائرة، وامتحانٍ عملي لتلك العلاقة التي تنشأ
بين قلمٍ يرتجف، وذاكرةٍ مترامية، وفكرةٍ عصية، بذلك تُمسي مُخرجات متوترةً لمن كثرت
مدخلاته، وصرخةٌ مدويةٌ وسط صحراءٍ مقفرةٍ -غالبًا ما- ترجع أصداؤها للأسير



وحده، إذ غالبية الكتابات الأسيرة تُراوح ولا تزال زناناتها المغلقة، رهينة الحقائق والأدراج الصدئة بعيدةً عن النور.

في الأسر تنقلب معايير ومقاييس ومحددات الكثير من القضايا؛ والكتابة واحدةٌ منها، إذ تغدو بصرف النظر عما تحمله من مضامين فعلاً ثورياً ينزعُ لاستبدال واقع بواقع بشكلٍ جذري، ولا سيما مع اعتبار ذلك محاربةً واعيةً لمرامي التجهيل والتفريغ الممنهجة المتبعة من قبيل أدوات منظومة السيطرة الاستعمارية، التي لا تفتأ تطارد الأفكار والأقلام والكتب والرواية والتاريخ والذاكرة، وفي خضم هذه الظروف المانعة والقاهرة والكابحة لعملية الإبداع، تبرزُ الحاجة ملحةً لاستخدام الفراغ مادةً أوليةً للخلق، لخلق شيءٍ من العدم المائل، كذاك الذي يستعوض به رجلٌ عن نعمة الخلق الوجودي الذي تتفردُ به أيُّ أنثى، ويستعوضُ به الأسيرُ عن حياةٍ كاملةٍ نَزَفَها بطيء؛ ويجاول خلق أخرى على شاكلتها ليقوى على الاستمرار وسط عالمه الذي يُشيدُه افتراضياً، له عبر الكتابة بيتاً يُؤوي ضياعه، يبتكرُ امرأةً من كلماتٍ تلده ثانية، يستولد قصيدةً تحلّق في أرجاء فرضيته حتى لا يرتويه الفراغ، ويحتسيه الوقت.. هنا فقط تستحيل الكتابة وسيلةً لردم الفجوة القائمة بين القيد والحياة.. بين الأسر والحرية، وبين الذات ومرآتها في الآخر الغائب.

فلتكتب ما دمت أسيراً، ذلك يعني أن تغذي قدرتك على الحلم، أن تبتكر أملك الكبير فلا تندثر؛ يعني أن تصنع معجزتك الخاصة وتُدوّن أسطورتك كما تشاء؛ يعني أن تنتصر على الوقت فتُدجّنه ليألفك ولا يفترسك، أن تكتب يعني أن تمحو قبَح السجن الذي يتربص بشوارد أفكارك للانقضاض عليها وزجّها في زنزاة باردة، أن تكتب في الأسر يعني أن تزاول الحبَّ مهنةً أبديةً، فتتفرغ للعشق وتطرد عن روحك كلّ شياطين الفراغ المدوّي بتميمة أجديتك فلا تستكين، ولا تترك لقوانين عالمك المغلق من كل الجهات، ومعناه أن تحيل أنينك الصامت سيمفونية حياةٍ صاخبة، تخترق منطق

الأسوار الشاهقة لتطرب روحك بانثيالات موسيقاها، ومعناه أن تستعيد عبر اللغة وطناً مسلوباً، فقصيدة الأسير هي وثيقة ملكيته للزمان، وصكُّ إثبات حقه بالمكان، وهي حُجة التملك الأقوى في وجه السرقة المتواصلة منذ أكثر من قرن، قصيدة الأسير هوية المكان والزمان، ونثرية الأسير هي ملامح وخصائص هذه الهوية.

غير أن سؤالاً يطفو بقسوته القارسة على سطح ما، مفاده: ما قيمة ما يكتب الأسير، ما دامت كتاباته محكومة بالنسيان والتلاشي؟ ما قيمة هذه الكتابات ما دام لم يقرأها سواه؟ وكأنه يستخدم لغة خاصة لا يقوى على تهجتها أحد غيره!! ولعل الإجابة على هذه الصيغة من الأسئلة ستبدو حماسية وساذجة إذا ما جاءت على تلك الدرجة من البدهية الموسمية، ولن تُشكّل فهماً يفكُّ عَقْدَ مشكلة سياقاتٍ طويلة من التجاهل وعدم الاكتراث بما يتم نسجه ونحته وصقله داخل زنزانة تفتقر لكل مكونات الدفع تجاه الإبداع والخلق، فمن اللاشيء يكوّن الأسير شيئاً قد لا يكون على تلك الدرجة الباذخة من الأهمية، وقد يكون أكثر أهمية مما يناظره لدى كُتّاب ينعمون بالحرية الكاملة، غير أننا من أجل وعي ذلك ينبغي علينا تناول هذا «الشيء» ومنحه بعضاً من القراءة النقدية والتحكيمية بمعزلٍ عن نسبه لأسير، بما يفرضه ذلك من تعاطفٍ جارح للنص ولصاحبه، هكذا قد تغدو العملية أكثر منطقية وأجدى، فلا تتحول نتاجات الأسير قصوراً رملية لا تلبث تُشيدُّ حتى تبتلعها أول موجةٍ عابثة.

ذلك مع الميل إلى الاعتقاد بأنّ للأسير الكاتب أبجدية خاصة، ولغة مختلفة بما يشفعها من مفردات عالمه المغلق والمتماثل، ثملي خصوصية خطيرة على ما يبتكره ويبدعه من نص، فاللغة -أسوة بالإنسان- هي ابنة بيئتها، بها تتمرّد ومنها تكتسب ملامحها التعبيرية المميزة، لذا يحدث أن تتميز لغة الأسير بعلامات فارقة قد تحيل نصوصه متشابهة، لكنه ليس تشابهاً استنباطياً أو من حيث المظهر الإنشائي للنص، إنما قد يكون من حيث البناء النفسي والملامح المبنية للغة، حتى لا تتناول مواضيع بعيدة عن



واقع الأسر وتفصيله، فإن كان لكل نوعٍ كتابيٍّ خصوصية يفرضها الإطار المحدد لهذا النوع، فإنَّ للتاج الكتابي (الأسير) خصوصية تتحدد بالمكان الضيق والواقع المغلق، الذي تنبعث منه أحرفٌ فقيرةٌ إلى الإيحاء، غنيةٌ باستعادته وإعادة إنتاجه واستخدامه، أو بما يُجترح من وحي شحيح وفقير، بيد أن من يجتاح التاج الكتابي للأسرى ضمن سياقاته المختلفة، سيعثر على لوحة ملحميةٍ تلتئم من مئات النصوص من قصائد ونثرات، وخواطر ودراسات تشكل مجتمعةً مادة يمكن أن تكون موسوعةً رفضٍ إبداعي جديرة بالعناية والحفظ والرعاية، ولمن يقول للأسير اكتب حتى تهزم السجن، يقول له الأسير اقرأ حتى ينتصر النص، فلا يغدو فعل الكتابة ضرباً من العبث كالرسم فوق صفحة ماء أو كسيزيف يمتهن العبث حرفةً أبدية.

حقاً أن نص الأسير لا يستجدي قارئاً، ولا يتسوّل ناقدًا، لكنه يحثُّ إليه بما هو عليه لا بما هو منه، فثمة نوعان من الكتابات، الأول يدفعك للكتابة لأنك تمتلك قدرةً على تخطيطه، والثاني يدفعك للقراءة، يُثري ذائقتك أو رصيدك المعرفي بالقليل أو الكثير، من هنا يجدر التمييز جيداً بين نصٍّ اشتغله أسير لقناعةٍ ما بأنه جدير بالكتابة، وبين نصٍّ ابتكره أسير لظنه أنه خليقٌ بالقراءة، وعليه فالأداة التحليلية العلمية القادرة، تستطيع حسم السجال الذي يدور حول ضرورة أو عدم ضرورة تناول النص، الأسير بمعزلٍ عن هوية صاحبه وبحيادية مهنية تامة ومنصفة.

في المحصلة، سيظلُّ صاحبُ كلِّ قلمٍ أسيرٍ يُجري تمارينه الكتابية ومواراته الراحفة بين الحبر وآلاف البياض الطلق، وسينمو هو داخل تلك العلاقة ليصل إلى نصّه المنشود، سيجتاز كلُّ ما يقف أمام تدفق حدّه، حتى لو صودرت كلُّ أقلامه وقصاصاته ويديه، سيكمل سرديته الوجودية وسيروي روايته وقصة لجوئه وتلجيئه الممتدة منذ أكثر من قرن، وسيبتسم في تأرجحه بين عودَي مشنقةٍ، ابتساماً تُشفُّ عن قناعته بأنه بدأ كتابةً وتوثيق روايته هو، كاملةً وسالمةً من أي تحريفٍ، وتزوير، وستظل كتاباته طريقه

نحو فردوسه المفقود وحرّيته الكاملة وإشهار هويته الوطنية والإنسانية في وجه القبح
والموت والنفي ..

بقلم الأسير الفلسطيني

أحمد تيسير خليل عارضة

معتقل منذ 2-11-2004

المحكوم بالسجن المؤبد (مدى الحياة)

معتقل ريمون الصهيوني

مارس 2022

رسالة أسير إلى شعبه والعالم في قصة

ما الفرق بين 0 positive و 0 positive

هنا في سجون الاحتلال الإسرائيلي كثيرًا ما تقتحمنا وحدات مقنّعة من العصابات الصهيونية، معها أسلحتها النارية، إضافة للغاز والهاوات والعصي الكهربائية، بهدف التخريب والترويع وإثارة الرعب في نفوس الأسرى، ونحن لانملك مقابلهم سوى إرادتنا المستندة على ثقافة تربوية ثورية تشحننا بالطاقة والقدرة على الثبات في وجوههم بعزة وشموخ، وبالتالي هم يخربون ويعبثون بمحتوياتنا، لكنهم لا يشعرون بأنهم أثروا على نفوسنا بشيء، فنحن ننظر إليهم كدُمى تتحرك وتعبث في الأشياء دون أن نخاف أو نرتعب، كما هم يأملون، بل يفقدون الثقة بأنفسهم ونحن ننظر إليهم باسمين، الأمر الذي يدفعهم للاعتداء علينا مباشرة، إما بالشتم أو باستخدام أسلحتهم والضرب، فإذا وصل الأمر إلى الصدام المباشر على هذا النحو، فإن الأسرى الفدائيين يردّون الشتم بالشتم والضرب بالضرب، حتى لو كان الفدائي وحده ومقيّد المعصمين فإنه سيضرب دون تردد، لن يفكر مجرد تفكير في ذلك ولن يعطي نفسه ولو ثانية لحسابات التناجج وصوابية قراره بالضرب، فلحظة الدفاع عن الكرامة لا تحتاج إلى قرار، وفي أحد هذه الصدامات المباشرة كان قد فُجَّ رأسي ونزف الدم غزيرًا من الجهة اليمنى



فوق الأذن بقليل؛ شعرت بالدوران لكنني بقيت واقفاً لم أسقط، فتلقيت ضربة أخرى على المكان ذاته، شعرت برأسي أثقل من جبل فوق أكتافي لا أقوى على حمله، فوقعت ممدداً على ظهري وسكنت، ساعتها توقفوا عن الضرب، أو لربما تخدّر جسمي فلم أعد أشعر بالألم، كنت أراهم أشباحاً وصوراً غامضة تدور حولي، لكنني أسمعهم جيداً، قال أحدهم: أحضروا الحماله، بعد برهة من الوقت حملوني خارج السجن الذي كان فيه الأسرى ممددين كالجثث في الغرف إثر ضربة الغاز التي استنشقوها أثناء الصدام، وضعوني في ساحة خارج السجن وبدأت أشعر ببرودة تسري في جسدي، سمعت أحدهم يقول: لقد نرف دمًا كثيرًا، ردّ عليه آخر: فليمت، سمعت ثالثاً قال لهم: لا نريد أن نتحمل مسؤوليته أحضروا الطبيب يجب أن نعالجه، ربما يكون هذا الثالث هو ضابطهم، لم أتحقق من ذلك فكلهم مقنعين ولباس موحد، فقط أعرف أنهم من عصابة تسمى (المتسادا). مضى وقت قليل وصرت أشعر بالنعاس حتى جاء الطبيب وسمعته يقول: إنه بحاجة إلى دم يجب نقله للعيادة وترتيب نقله للمشفى، ومباشرة حملوني وقد ضجّت الأجواء من حولي ومشوا بي حتى دخلنا عيادة السجن، وهناك رفعوني عن الحماله ليضعوني على سرير فشعرت كأنما رفعوني من بركة ماء، كان ظهري غارقاً بالدم، رأيتهم يفرشون قطعة بلاستيكية سوداء على السرير الذي وضعوني عليه، جاء ممرضٌ وصار يلفّ رأسي بالشاش، يحاول وقف النزيف وتضميد الجروح، خلع عني القميص وصار ينظف جسدي من الدم، كان الطبيب يجلس وراء مكتبه أمام شاشة الكمبيوتر، تحدث مع إدارة السجن ومع إدارة المشفى، فهمت أنه يطلب سيارة إسعاف لنقلي، سمعته يقول: أحضروا وحدة دم من نوع O positive مع سيارة الإسعاف، وكان أفراد العصابة المقنعة ما زالوا حولي، فسمعت أحدهم يقول للآخر: إن دمه مثل دممي O positive، فردّ عليه مباشرة: لا ليس مثله، فأكد الأول وقال: بلى مثله أنا دممي O positive، فردّ عليه: أعرف لكن ليس مثله هناك فرق، فسأله: كيف؟ ما الفرق بين O positive و O positive؟! أنت دمك O positive يهودي أما

هو فدمه O positive عربي، شعرت حينها بالشفقة عليه فهو جاهل ومريض، هو ضحية الثقافة التربية الصهيونية ذات الأساليب والأهداف العنصرية، كانت الشفقة هي آخر ما شعرت به تجاههم وكنت مبتسماً وأنا أموت، ظننت نفسي قد متُّ مبتسماً، فلم أدْرِ يوماً ماذا حدث فيما بعد، لكنني لم أمت كنت قد غبت عن الوعي 24 ساعة فقط لأصحو بعدها وأجد نفسي في المشفى ممدداً على السرير ومكبلاً بالأصفاة، كان ذلك قبل عشرة أعوام، لم أمت وعشت حتى الآن لأشعر بذات الشفقة على الإنسان الأميركي والأوروبي المصاب بمرض الثقافة والتربية الصهيونية، التي تجلّت أعراضها هذه الأيام بوضوح، فرأينا كيف تعنصرنا لصالح أوكرانيا ضد روسيا منذ اليوم الأول لبدء الأزمة، متهمين روسيا بممارسة جريمة حرب، ومباشرة ودون تردد فرضوا العقوبات المتنوعة على روسيا، في حين مضى سبعون عاماً وإسرائيل تمارس جرائم حرب ضد الفلسطينيين وهي حتى اللحظة تقتل الأطفال يومياً وتهدم البيوت، بل وتفرض على الإنسان أن يهدم بيته بنفسه إمعاناً في القهر والإذلال، وقد سوّت غزة بالأرض أكثر من مرة، وتمارس العربدة والاستقواء على مدار الساعة، وقد أثبتت منظمات دولية أن إسرائيل تمارس جرائم حرب وتطبق سياسة عنصرية في فلسطين، لكن أميركا وأوروبا ترفضان أن تمارس عقوبة واحده على إسرائيل، لماذا؟ تُرى ما الفرق بين الدم الأوكراني والدم العربي الفلسطيني؟ لم يفعل الجيش الروسي بأوكرانيا شيئاً يذكر قياساً مع ما تفعله العصابات الصهيونية في فلسطين، تُرى ما بال الإنسان الأميركي والأوروبي؟! هل صاروا مثل عصابة (المتسادا) التي أشفقت عليها؟ إنهم يقولون لنا من خلال حملتهم المسعورة ضد روسيا إن هناك فرقاً بين الدم الأوكراني والدم العربي، رسالتهم لنا واضحة، إن دمنا رخيص ليس مهماً ولا يستدعي أن ندين إسرائيل أو نعاقبها لأجله، أما الدم الأوكراني فنفس ويستحق أن نشنّ حملة ضد روسيا لأجله، ماذا يعني ذلك؟ يعني أن وجهي أميركا وأوروبا قد انكشفوا وظهرت على حقيقتها -سقط القناع- سقط قناع الحرية والعدالة والمساواة عن وجه أوروبا



وأمركا، وظهرتا بالوجه المفترس والدموي وتاريخهما الأسود المتجاوز لكل الأخلاق والإنسانية، وأمام هذه العنصرية والصورة السوداوية لما وصلت إليه الإنسانية فوق هذا الكوكب الحيّ، جئت أقول لشعبي العظيم: لا تحقدوا على أحد، بل اشعروا بالشفقة على أحيكم الإنسان في أميركا وأوروبا لأنه مريض بالعنصرية، وقد أثر المرض على عقله، فصار جاهلاً، له صورة خارجية أنيقة وراقية، مجرد صورة محكومة بسلوك عنصري جاهلاً الأمر الذي سيؤدي به إلى الهلاك، لأن العنصرية هي آفة الشعوب والأمم، أشفقوا عليهم وظلّوا كما هي أخلاقنا وثقافتنا الإنسانية، لا تفرقوا بين دم ودم ونفس ونفس، فكل نفس هي عزيمة وكل دم هو غالٍ ونفيس، واعلموا أن آمال المستضعفين في الأرض معقودة علينا، إن آمالهم كبيرة بأننا نحن الشعب الفلسطيني، وبرغم كل ما فينا من أوجاع وكل ما نعاني من قتل وهدم وتهجير وظلم واحتلال، يُمارس علينا أبشع أنواع العنصرية والـ(أبرتهاید)، برغم كل ذلك نظل نحن القادرين على إنقاذ الإنسانية من برائن العنصرية الصهيونية التي تفشت في أخوتنا في الإنسانية، هناك في أميركا وأوروبا، فمسؤوليتنا أبعد من فلسطين، نحن أهلّ لقيادة ثورة المستضعفين في الأرض نحو إعادة صياغة تربية إنسانية نظيفة من وسخ التربية الصهيونية العنصرية، تربية إنسانية، يكون فيها الإنسان، كما يجب أن يكون، إنساناً يحب أخاه الإنسان ويتعاون معه أينما كان، بصرف النظر عن لونه ودينه وعرقه.

#الأسير_عبد_العظيم_عبد_الحق

#سجن_ريمون

2022 /3 /11

وداعاً أمي...

أستميحك عذراً ساحيني يا غالية... أطلت الغياب رغباً عني ساحيني... القيد غيبي عنك يا أجمل الأمهات، ساحيني... انتظرت وتأملت وتأملت، واستبشرت أحياناً ربما الفرج واللقاء قريب، أجلس ونفسي وبمخيلتي أرسم لحظة اللقاء والعناق... أتعبتك

أمي من سجن إلى سجن ساحيني...

بعد الحرمان وطول الزمان وألم الفراق، لمن سأعود يا أماه إذا ما عدت من أسري...
لظالما حلمت بيوم تحرري من أسري، أكفكف دمعك بقبلة ووردة...

كنت أستشعر دعواتك تدثرنني وأنا في غربتي... فلمن تركتني يا أمي... عندما كنت
تحديثني وكنت أسألك عن صحتك وتخبريني أنك بخير، كان في قرارة نفسي أنك لا
تقولين الصدق، قلبي كان يخبرني...

أتذكر ما حلمت به وخطّطت له عند خروجي من هذا السجن اللعين... أين
سأسكن... ومواصفات الفتاة التي ستزوجيني و....

أماه كنت أملي وكل شيء في حياتي، دعوت ورجوت الله أن ألقاك، لكن مشيئة الله
وقدره والحمد لله رب العالمين... رحمكم الله يا والدي، إلى لقاء في جنات الخلد إن شاء
الله.

ابنكم الذي سيبقى على العهد والوعد

محمود كليبي

من طولكرم ومعتقل منذ 2-14-2003

كلمة الأسير المجاهد محمود كليبي لدخوله عامه العشرين في سجون الاحتلال

اصرخ يا رحم المقاومة وزمجر.. أولسنا من رحمك؟!.. أولسنا أبناءك البررة؟!.. أولسنا
من سمعنا وأطعنا ولبينا النداء حين نادى المنادي؟!.. أولسنا من ذاد عن الحمى وكبر؟!..
ألم تشتاقي إلينا؟!.. وتكفكفي الدمع.. وتضمي الضنا وتفخري.. ألم يهزك ألم الفراق
الطويل؟!.. مضت السنون في بيت العرين.. فالشوق ألهب خاطري ومشاعري وهزّ
كياني.. فأعياني طول الأمد وأشقتاني.. فما زال في أعماقي بقية من ثورة وأمل.. فلا أريد أن
يخبو ذاك اللهب بداخلي ويذبل.. وكذلك البصيص من وهج الأمل..



يا نهج المقاومة تكلم ولا تتلعثم.. ولا تتركنا للخوف وطول الانتظار ينهشنا الملل والإعياء والسقم.. سنبقى نلتمس الشعاع المتسلل خلسة.. يخترق الشوق وينبعث منه الروح والأمل لعله يسرج ويضيء لنا عتمة الطريق وتشرق لنا شمس الحرية وتنبض الروح من جديد.. فراقك أمني أعياني وجفّ الدمع في مقلتي.. لطالما رأيت في وجهك الأمل وحكايات وتراث الوطن الجميل.. أمّاه يا رحم المقاومة.. يا رحم فلسطين.. لم يمض إلا عشرون عامًا بين أنياب التنين أتريدين المزيد؟!.. والعمر مضى وتقدم ولست أبخل.. ولست أضجر.. ولكنه الأمل والوعد الصادق.. ولست أقهر.. اصرخ يا رحم المقاومة وزمجر.. وارسم صورةً للحرية.. أو ما يكفي؟!.. أو ما يحين وينتهي هذا المخاض العسير؟.. ويغدو حقيقة.. ويسطع فجر ميلاد حرية كم جديد.

الأسير المجاهد/ محمود عطية كليبي

من طولكرم ومعتقل منذ 14-2-2003

ويقضي حكمًا بالسجن المؤبد

سجن نفحة

الرياضة في السجون

بقلم/ياسر صالح

أسير محرر من غزة، سبق أن أمضى 17 سنة في سجون الاحتلال

استطاع الأسرى أن يحققوا إنجاز الخروج صباحًا لممارسة الرياضة لمدة ساعة من 6:45 وحتى 7:45، وذلك عبر الخطوات الاحتجاجية ضد الإدارة، وأبرزها الإضراب المفتوح عن الطعام.

الاحتلال يريد أن يقتل الأسرى، إن لم يكن جسديًا فنفسيًا، ويستخدم الأسرى الرياضة لمواجهة إرادة الاحتلال، ففي الرياضة تخفيف عن النفس وتقوية للجسم لمقاومة الأمراض، وخاصة أن الأسرى يمكنون في الغرف على الأقل 20 ساعة.

يتم فتح باب الغرف صباحًا عن طريق شرطي يقف على باب الغرفة وينادي sport،

الجاهز للرياضة يخرج وغير الجاهز لا ينتظره الشرطي فيغلق الباب وينتقل لغرفة أخرى، حتى يمر على كل الغرف، وحسب سلوك الشرطي قد يعود لفتح الباب لمن تأخر ومنهم من يرفض ذلك.

يتم الخروج للساحة، وحسب البرنامج المتعارف عليه، تبدأ الرياضة بالجري بداية عكس عقارب الساعة لمدة ربع ساعة، ثم يصفق رأس الطابور (أول واحد في الطابور) ليدور هو ومن خلفه من الطابور مع عقارب الساعة لمدة ربع ساعة، وقبل انتهائها بدقيقتين تقريباً يسرع رأس الطابور الجري شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الوقت فيصفق ليتوقف الجميع عن الجري.

بعد انتهاء الجري يبدأ الأسرى بلعب التمارين فرادى أو جماعات..

من أهم التمارين التي يمارسها الأسرى:

نط الحبل.. جولات الضغط.. جولات العقلة.. جولات المعدة.. تمارين لياقة مختلفة.

نشير إلى أن تمارين الكاراتيه أو المصارعة أو رفع الأثقال ممنوعة، ويعاقب من يمارسها في الفورة.

ومن المفاهيم عليه كل يوم، نصف ساعة جري والباقي تمارين، ما عدا الجمعة فالساعة كاملة جري أربعة أرباع.

وكذلك ممنوع خروج الأسرى للرياضة للمشي والحديث.

الرياضة في الفورات..

مسموح في الفورة الأولى لعب تنس الطاولة والطاولة في منتصف الساحة، ولا تعيق المشي، فالمشي أيضاً في الفورة بشكل دائري، وفي الفورة المسائية يسمح باللعب الجماعي (طاورة أو سلة) نصف مدة الفورة والنصف الثاني للمشي، ويمنع لعب كرة القدم في الفورة.



وقد يقوم البعض بلعب رفع الأثقال، ولكن في الغرفة ودون أن يراه الشرطي.

يقوم الأسير بعمل الأثقال من زجاجات الكولا الفارغة، فيقوم بإذابة الملح بالماء شيئاً فشيئاً في الزجاجات حتى تمتلئ ويصبح وزنها 3 كجم تقريباً ويضع كل ست زجاجات مع بعضها ملفوفة بقماش ويضع عصاة قشاة أو اثنتين بين مجموعتين من الزجاجات ويلعب فيها أثقالاً ولكن هناك مشكلتان:

الأولى: في أي تفتيش للإدارة للغرف تتم مصادرة هذه الأثقال لأنها ممنوعة، وبالتالي يحتاج لوقت جديد ليعمل بدلاً منها... وهكذا.

الثانية: الغرف ضيقة، وبالتالي قد يحتاج أحد أفراد الغرفة أو أكثر على اللعب في الغرفة وعلى رائحة العرق، وبالتالي يُمنع اللعب في الغرفة.

ويمكن الإشارة إلى أنه يمكن إجراء دوريات في التنس أو الطائرة أو السلة في المناسبات الوطنية والإسلامية، وتكون هناك جوائز للفائزين.

ونؤكد أن الاحتلال يتعامل مع هذه الحقوق كإنجازات تُسحب في ظل أي احتكاك بين الأسرى والإدارة.

في ذكرى دخول الأسيرين الشقيقين إبراهيم ومحمد إغبارية عامهما (31) في سجون الاحتلال الصهيوني، كتب الأسيران الشقيقان القائدان إبراهيم ومحمد إغبارية.

سجن رامون الصحراوي

يا أمناً... ويا زوجتي

نتوسل إليك يا أمناً العزيزة أن تتقبلي استلام رسالة من ابنك الأسيرين..

الذين استدرجها الأمل في كل عام على التأخير.

لكن بعد مضي 30 عاماً من أسرنا، ومن غوايات الوعود اللذيذة، كان لابد لنا أن نبعتها

لحضرتك الكريمة، ولزوجتي الحبيبة، والخجل مستبد بنا وبحروف كلماتنا؛ من أن ترفع رأسهما بوجهيك الجليل.

فمعدرةً منكما على انتظاركما الطويل..

كل المعذرة..

وصفحكما نرجو..

على كل هذا التأخير..

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أمي.. دعينا نناديك.. يا أمي..

فأكثر من 30 عامًا ونحن نحترق شوقًا لتتشرّب أرواحنا صدى صوتك العذب حينما تجيبيننا: نعم يّآ.

أكثر من مرة يا أمي يسقط القلم من يدي كلما هممت بالكتابة، بعد أن حسمنا أنا وأخي قرارنا وعزمنا لأن نكتب لك؛ لأنني لم أعرف من أين أبدأ معك الحكاية، أو كيف أصف لك شكل النهاية، التي لم تكتب فصولها بعد.

ولأن حروف شوقنا وحنيننا وعبق التاريخ تندفع جملة واحدة من خلايا أجسامنا جميعًا، تتدافع نحو الأعلى متحاشدة عند حلقي محدثة فوضى وإرباكًا في أفكاري وخواطري، فأشعر في الحال بالانسداد والاختناق الذي لطالما كنت في كل محاولة أجهدُ لأن أتفاده، فيفلت القلم من يدي، مسرعةً مسعفةً عنقي لتدليكهها وتليينها، ولتسليك حلقي طمعًا لأن يتحرر للهواء مجراه.

لكننا يا أمي نقسم برب العرش إننا لم نكتب لنقول لك: أمّاه اصبري.



فدون صبرك الجميل قمم الجبال، ويعجز عن إدراكه أو تصوره أي خيال، فأنت الصبر
بالكمال.. وأنت الأمل.. وأنت الجمال.

أتذكرين يا أمي زيارتك الأولى لنا في سجن الرملة، ذات صباح، إذ كنت أمشي نحوك
كسنبلة الحقل المثقلة بحبات لوعة فراقكم والقلق عليكم واشتياقنا المطرد لكم،
فجلست مستسلمًا بين يدي حضرتك كما تستسلم خاشعة السنبلة الحاملة مطمئنة كمن
وجدت أمانها في قبضة يد الفلاح.

لكنك يا أمي ظننت بنا للوهلة الأولى غير ذلك؛ فأنشبت بكلتا يديك الشبك البليد،
الذي يفصل بيننا، وقلت لنا معلّمةً كما تعلم اللبوة شبلها: خليك يا ابني كما ربيتك
محارب عنيد؛ معنويات عالية وإرادة صلبة حديد.

فقلنا لك: يا أمّاه، ليس القيد في المعصم نشكوه، ولا حقارة السجان، فنحن هنا
منجزون وعدًا لوطن قطعناه، ولنعلم يومًا شعبنا الحر أننا أبدًا ما خذلناه، مجاهدون في
سبيل الله لا نبتغي غير رضاه، إنما هو يا أمي قلقٌ عليكم عانيناه، وعلى إرث بارك الله
حوله من آلاف السنين عن كنعان والفاتحين ورثناه، فقلت راضيةً، والبسمة المشرقة
ترتسم جذلةً على وجهك الوضّاح، تُوشكين أن تطيري من الفرح: الحمد لله.. الحمد
لله.. أبناء أبيكم يّما.. عليه رحمة الله.

أو لا تذكرين يا أمي يوم تسنّى لنا سجن السبع أن نلتقي بشوق السنين العابرة، بعد
جهد وعناء، كشوق الزهرة لخيوط الشمس الناعمة، وتحضنيني بلهفة الأرض العطشى
لغيث السماء، وأخذت تتحسسيني وتلمسين شعري بكف يمينك، وتشعشين ابنيك
بفيض حبك وحنانك، كما تفعل الأم الرؤوم مع طفلها المولود للتو.

ولما سألتنا عنك بعد أيام قالوا لنا، إنها لم تنهض من فراشها منذ الزيارة ولا ندرى لماذا..
لكننا؛ أنت ونحن يا أمي ندرى.. نعم ندرى، وقلوب البشر تدري ونبض الكون

يدري، والدم في عروقنا يدري: ندري لأنك أمّ.. لأنك أمّنا.

أو لا تذكرين يا أمي في إحدى زيارتنا قبل بضع سنوات لما سألتك عن أحوال البلد؟
قلت لي عن مشيرفة موطن ولادتك؛ أم عن أم الفحم عرين أخوالك تسأل؟
فقلتُ: عن الوطن أسأل يا أمي!

سكتُ برهة، حسبتها دهرًا، ثم بدمعك الصامت أتاني الجواب، وإلى الآن يا أمي لم
أعلم أعلينا بكيت أم على الوطن؟!
فاستطردتُ بعدُ سائلًا! كيف شعبنا يا أمي؟
أجبت: شعبنا بخير ييّا..

قلتُ مستغربًا: كيف شعبنا بخير يا أمي وجرائم القتل تمزق مجتمعا في الداخل مخترقة
مدننا وشوارعها؟! وكيف شعبنا بخير يا أمي وأوغاد المستوطنين يتغولون ويعربدون
في شوارع وكروم الضفة راسمين للمعازل حدودها.
حينها قلتُ لنا: إذا عندنا ييّا انسحب علي بابا وقانون من شوارعنا، فلا تستغرب أن
يصل القاتل ابن جلدتنا، للأسف عتبات الأبواب.
وهناك ييّا في الضفة الحزينة لما نام عن واجبه الأمانة، انفلتت مزهُوةً من عقال خوفها
الذئاب والكلاب.

يا أمي، لم أرك في حياتي غضبت يوماً قطّ كغضبك لأجل زوجتي إذا ما صدرت عني
نكته لا تروق لها أو كلمة مستفزة قطّبت لها جبينها.
فعلمني حبك وعلمني قلبك أن ضوء الشمس أوسع وأكرم من أن يستفرد به إنسان.
أي زوجتي «كنتُ إذا ما ضاقت بي الدنيا كان يكفيني منك رؤياك».
ودومًا «أناجي ربي خالقي صباحًا يكون فيه لقياك».



أيا غاليتي لطالما كدحت باحثًا في كل قواميس الأرض لأجد ما يليق بك من الكلمات
أو بُيت شعرٍ في كل كتب الأشعار، وما وجدت شيئًا يا زوجتي يناسب منك.

ولو واحدةً من دمعات الانتظار؛ فاسمحي لروحي أن تقول لك بإخلاص: أحبك يا
زوجتي للأبد..

أما الآن، بعد 30 عامًا، فلن نسألك يا أمي ما شكل الضياء وما شكل القمر، ولكننا
نسألك عن حصيرتنا البنية وليالي السمر، وعن مصطبة دارنا، وعن قعداتنا أيام زمان،
وعن بستاننا المليء بالملوخية والخضار، وعن شجرتي التين والرمان، وعن ليمونتنا
الشهرية خلف الدار، وعن موزتنا العنيدة، وشجرة الصبار.

لا نريد أن نُطيل عليك يا أمي، غير أنه بالأمس واجهني سجانٌ، بعدما عرف أنني
أكملت 30 عامًا في الأسر، بسؤال مشحون كله بخباثة الاحتلال وحقارته:

من بقي لك في هذه الدنيا له في قلبك محبة بعد هذا الغياب الطويل؟

صمتُ لحظةً ولوهلةً شعرت يا أمي أن صخرة الزمان الطويل أسقطت كلَّها بلؤمه على
رأسي كلَّه، غير أن روعي لم تتردد في الإجابة طرفة عين، إذ داهمتني من فوري بان دفاعةٍ
لا تُباري صورتك يا أمي وصورة زوجتي، فقلت له بحزم أسلافي الفاتحين ودون تردد
أو تلعثم: فلسطين...

ربما يا أمي لأنني أحسست، أو رأيت أنه من عينيه تنبعث شهامة الأعداء الغاصبين،
فإحساس التاريخ والحق والعدالة أقوى من أي صولةٍ للغرباء العابرين.

فمعدرةً منك يا أمي، فأنت لنا فلسطين وأنت الوطن وأصل الحنين.. أنت الفرحةُ
تمحو الشجن.. وأنت دفئي وقت المحن.

وأنت أغلى ما في الوجودي.. بوسة على جبينك هنيئًا تسوى وجودي.

فيا إلهي ألهمني كيف نحب حباً يليق بجلال أمي.. وامنحني يا إلهي وزوجتي أن نجدد
عهداً بالحب عشناه.

وعلمنا يا إلهي كيف نشكرك ونحمدك على نعمة انتماءٍ لوطنٍ قد عشقناه...

مُحبك المشتاقان

ابنك الأسيران

إبراهيم ومحمد إغبارية

من مدينة أم الفحم في الأراضي المحتلة عام 1948

معتقلان منذ 25-2-1992

وصدر بحق كل واحد منهما حكماً بالسجن 3 مؤبدات

سجن رامون الصحراوي